المبحـــث الرابـع

معايير التصميم في نظرية الجمال الفني

Design Criteria in artistic Aesthetics Theory

التصميم كنشاط بشري Design as a human activity

تؤكد نظرية الجمال الفني قيمة الفن على أساس معناه الواسع كنشاط بشري يؤدى ببراعة، ويستهدف غرضاً معيناً وهي بهذا المعنى إنما تكون أقرب النظريات الفنية إلى فلسفة التصميم وفكرته وعند الإشارة إلى سعته كنشاط، إنما تشير النظرية إلى القيمة التداولية له كجزء من الوعي الإنساني ويدخل في صميم التجربة الإنسانية على أساس أهميتها وضرورتها[1]، ولم تنزل هذه النظرية بهذا النشاط المتداول إلى الخبرة البشرية الاعتيادية، وإنما تلك الخبرة التي تؤدى ببراعة، والبراعة هنا تعني العمل المبدع الخلاق، كما ربطت هذه النظرية براعة هذا العمل بمدى استهدافه لغرض معين وتحقيقه لذلك الغرض وهذه الآلية تتطابق وإلى حد كبير مع فكرة التصميم وسبب وجودها كنوع من النشاط الجمالي الإنساني الذي يحقق وظائف نفعية للإنسان.

ولكننا إذا استبعدنا الجمال الفني بمفاهيمه التداولية بين الفنانين، فسنجد أن هناك العديد من الأعمال التي يمكن أن تؤدى ببراعة وتحقق أهدافها كنشاط بشري، ولكنها لا ترقى إلى مستوى الخبرة الجمالية في الفنون، كفن الطبخ مثلاً،

وإصابة الأهداف، والعمل الدبلوماسي الجيد، وجريمة القتل.... إلخ.

فهل يمكن أن نعد هذه الأعمال وفقاً لهذه النظرية أعمالاً فنية؟.

إن نظرة بسيطة من الإنسان إلى البيئة التي من حوله ستجعله يدرك أن هناك آلاف الأشياء ذات طابع فني وتداولي، كالملابس والأطباق والسيارات والطائرات والصحف والإعلانات... إلخ. وهكذا تكتظ هذه الأشياء وتصل إلى أعداد كبيرة حتى تفقد تلك البيئة طبيعتها، ولا يكاد ينظر من حوله في المدينة التي يعيشها إلا تلك السماء من فوقه فهل يستطيع أن يتخلى الإنسان عما حوله من الأشياء التي دخلت في جوهر تجربته الإنسانية اليومية؟.

لا شك أننا بهذا المفهوم سنجعل لكلمة الفن معنى أكبر مما ينبغي بكثير، وستتحول العديد من الصناعات والحرف والأعمال إلى فنون ليس لشيء، إلا لأنها نشاط إنساني تم إنجازها بإتقان وبراعة وحققت غرضها.

لا شك أن النظريات السابقة لا يمكن أن تتفق على هذا المنهج في نظرية الجمال الفني. وأغلب الظن أنها ستعتبر ذلك فناً سقيماً وتافهاً، أو فناً يثير الغضب أو لا معنى له ولا يمكن تسميته فناً.

«وعلى هذا الأساس فقد حصرت نظرية الجمال الفني معاييرها وقواعدها في الأعمال التي يمكن أن نصفها بأنها أعمال فنية. ووصلت إلى أن النتاج البشري المتروي الذي يتصف بالجاذبية أو بالطرافة الخاصة عند تأمله وإثارته للاهتمام، والذي يحقق هدفه هو الذي يرقى إلى العمل الفني ولا نتردد في أن نطلق عليه ذلك»[٢].